درس الأسبوع الممتد من 16 إلى 21 مارس 2020

تتمة درس : الخط العربي

في متابعة لما كنا بصدده في الحصة السابقة ، نتطرق إلى موضوع الخط و الكتابة العربيين - و هو موضوع قلما عولج في أي من مستويات التدريس و لا يعرف عنه إلا القليل إذ أنه ما زال مجهولا عند فئة لا يستهان بها من طالبي العلم .

توقفنا عند الرسم أو الخط النبطي المشتق من الرسم الآرامي الذي نشأ في كنف الحضارة الآرامية في مهدها (فلسطين و لبنان و سوريا) . و بما أن هذا الخط يتميز بتاريخ عريض و واسع فقد طغى على خط المسند و تغلب عليه ، و ما ميزه هو اتصال الحروف ببعضها ، و أقدم ما وصلنا من نوعه هو نقش النمارة .

و هو يشابه الخطوط الصفوية و اللحيانية و الثمودية في خلوه من الحركات الطويلة و القصيرة و عدم اعتماده على نقط الإعجام .

و بعد ذلك ظهر نوع من الخطوط هو مقارب و مشابه للخط النبطي و قريب جدا من الخط المتعارف عليه حاليا و الذي يستعمل الآن على نطاق واسع ، بيد أنه يغفل هو الآخر الحركات **Voyelles** و نقط الحروف .

و في مرحلة رابعة وقع هناك تأثير من الخط السرياني في الرسم العربي و ذلك منذ القرن السابع الميلادي ، فتحول إلى خط تدون به المراسلات و لم يعد مقتصرًا على النقوش ، و اعتمد على نقط الإعجام للتمييز بين الحروف المتحدة

صورة و المختلفة نطقا . إلا أنه ظل متشبثا برسم الأصوات الساكنة دون حرف العلة ، و بدون علامة ترمز إلى الشدة أو الحرف المشدد .

و في تطور لافت أدخل اللغويون في الخط العربي نظام الرمز إلى أصوات العلة (ا - و - ي) و كذلك نظام الحركات و علامة للشدة ، و ظهرت في القرن الثامن الميلادي علامات الضمة مثل الواو و الفتحة كألف مستعرضة و الكسرة كياء راجعة ترسم تحت الحرف ، و الشدة و هي الجزء الأول من الشين . و تنسب هذه الطريقة إلى أبي الأسود الدؤلي .

و ختاماً لا بد أن نشير إلى مسألة أساسية تهم العلاقة بين الخط العربي و الرسم القرآني ، إذ لم يدخل الإعجام و الشكل إلى المصحف إلا في عصر متأخر ، و ذلك بعد تفشي اللحن في اللغة و فساد الملكة لدى عامة الناس بعد دخول أقوام من غير العرب إلى حضيرة الدولة الإسلامية ، ف شعر الناس بالحاجة الملحة إلى ضبط القراءة القرآنية على الوجه الأصح ، و إن كان في ذلك حرج عند إضافة بعض الأشياء على أحرف القرآن مثلما وردت في المصحف العثماني ، فعمدوا إلى كتابة الأصل بلون و تدوين الحركات المضافة بلون آخر ، و فيما عدا الحركات و نقاط الإعجام ظلت المصاحف محافظة على الأصل الذي وردت به في الرسم العثماني .

العلاقة بين الألفاظ و معانيها

بعد أن انتهينا من الكلام عن الكتابة و الخط العربيين ، نتطرق الآن إلى موضوع شائك من مواضيع " فقه اللغة " شغل بال الدارسين المهتمين باللغة قديماً و حديثاً ، ألا و هو موضوع العلاقة بين اللفظ و معناه ، و لا بأس أن نذكر بالسجال الذي دار بين اللغويين و النحاة و الأدباء في هذا المجال . فمنهم من انتصر للفظ و منهم من انتصر للمعنى حيث قال الجاحظ : " و المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي و القروي و البدوي ، و إنما الشأن في إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج و صحة الطبع و كثرة الماء و جودة السبك .." هذا هو قول الجاحظ الذي يتضح منه كونه من مدرسة اللفظيين لا من مدرسة المعنى ، و الذي بحسب رأيه أن المعنى معروف لدى العامة و التعبير عنه بفصاحة لا يستقيم و لا يتأتى للجميع . و ما يلاحظ على كل كلمة في اللغة أن لها معناها العام أو المعنى المعجمي الذي يتعارف عليه كل الناس ، فكلمة " ضرب " الدالة على إحداث الأذى أو الضرر بشخص ما هي المشهورة و المتداولة لدى

أغلبية متكلمي اللغة العربية ، بينما يمكننا تحديد بعض معانيها الخاصة من خلال السياق :

- ضرب السكة أي سك النقود

- ضرب صفحا عن الموضوع أي أعرض عنه

- ضرب في الأرض أي ساح و جال

- ضرب مثلا أي أعطى مثلا

- ضرب موعدا أي حدد ميقاتا معلوما .

و التساؤل المطروح هو هل العلاقة ضرورية بين اللفظ و المعنى أو " الدال " و " المدلول " أو " الإسم " و " المسمى " . فهناك من اعتبرها كذلك، و هناك من يرى بأن العلاقة اعتباطية بينهما، و إلا فإن كل شخص سيفهم كل لغات العالم إذا كان اللفظ يحيل على المعنى بالضرورة.

و نشير في هذا المضمار بأن أغلب اللسانيين يعدون العلاقة بينهما اعتباطية : دوسوسير - يامسليف - جاكبسون - شومسكي .. إلخ .

و تعود فكرة العلاقة بين اللفظ و المعنى إلى مسألة نشأة اللغة التي تطرقت إليها كتب فقه اللغة و منها التناسب بين الألفاظ و المعاني مثلما أورد ابن جني في باب " إمساس الألفاظ أشباه المعاني " : صر الجندب أحدث صوتا فيه استطالة ، و صرصر البازي أحدث صوتا فيه تكرار . و ما أورد سيبيويه : صيغة " فعلان " تدل على الحركة و الاضطراب : غليان - دوران ...

و يقر ابن جني بأن الرباعي المضعف يأتي للتكرير : زلزلة - زعزعة ، و كذلك جعلوا تشديد عين الفعل في نحو " فرح و بشر " للدلالة على قوة إحداث الفعل أي قوة اللفظ لقوة المعنى . كما يمكننا الحديث أيضا عن مقابلة اللفظ للصوت : خضم فالخاء و رخاوتها لأكل كل ما هو رطب كالبطيخ و القثاء . و قضم فالقاف و قوتها لأكل ما هو صلب و يابس .

و في إشارة منه إلى المناسبة بين اللفظ و الحركات للمعنى قال ابن القيم الجوزية : " يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى ، و الفتحة الخفيفة للمعنى الخفيف ، و الكسرة المتوسطة للمعنى المتوسط .